التضمين

الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

التضمين على ماورد في كتب اللغة ، إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه • فاذا كان اللفظ فعلا تصرّف في اللزوم والتعدّي تصرف الفعل الذي أُشرِب معناه • فقد يكون الفعل لازما فيتعدّى بالتضمين ، أو يكون متعدياً فيلزم • أو يستمر لازماً فيعدل به عن حرفه الى حرف آخر •••

قال الزمخشري كما جاء في الاشباه والنظائر للسيوطي (١/١٠١): (ومن شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله ، مع ارادة معنى المتضمن) • وقال ابن هشام في المغني (٢/١٨٥) : (وقد يشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ، ويسمّون ذلك تضميناً) • وفي الكليات (١٠٨) : (هو إشراب معنى فعل لفعل ، ليعامل معاملته) •

وقد شُرع التضمين لغرض تعبيري وفائدة معنوية • قال الزمخشري (والغرض من التضمين اعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من اعطاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معنى) . وقال ابن هشام (وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين) .وفي الكليات (وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان قصداً وتبعاً) . وقد نص الأشموني على هذا في حاشيته . والذي يعنيه ذلك عند النحاة كابن هشام أنه اذا كان مقتضى التضمين اكساب الفعل الاول ، حكم الفعل المقدّر من حيث التعدية واللزوم ، فليس مؤدّاه أن يُجرَّد الفعل الاول من معناه ليكسب معنى جديدا ، وانما القصد أن يجمع هذا الفعل بالتضمين بين دلالتين ، دلالته الاولى ، ودلالة الفعل الذي أشرب معناه . وكل فعل عُدّي غير تعديته ولم يستوف هذه الفائدة أو يصب هذا الغرض في جمع دلالتين وضمّ معنيين ، امتنع حمله على التضمين في الاصل . وكان التصرف فيه والعدول به عن حاله الاولى ، تحكماً لاوجه له ، بل خطأ لايسعه تأويل أو يحتمله تخريج ، الاّ أن يُحمل على وجه من المجاز بقرينة مانعة من إرادة ما وضع له .

والذي يعنيه التضمين عند الزمخشري دلالته على معنيين أيضا، المعنى الوضعي للفعل المذكور ، أما المعنى الآخر فيأتي من لفظ محذوف كالحال تؤخذ من الفعل الآخر بقرينة لفظية ، كذلك قال البيانيون .

فاذا ثبت هذا وكان الامر جاريا هذا المجرى ، واشترط المحققون أن يقوم في التضمين معنيان وان يكون بين هذين جانب من مناسبة ، فانه ينبغي أن يكون بينهما وجه من مغايرة . وانتفى على هذا أن يضمّن الفعل معنى فعل هو في معناه ، أو في معنى كمعناه . والا فما حاجتك أن تضمّن (استند) معنى (اعتمد) وتقول (استندت عليه) بدلا من (استندت اليه) . أو تعكس فتقول (اعتمدت اليه) عوض (اعتمدت عليه) . بل أي داعٍ تعبيري يقتادك الى هذا ويغريك به ؟ انك ان أجزته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطبَعْت على غراره ، فاتك غرض التضمين وعدمت قصده وفائدته ، بل تجاوزت شرطه فأوغلت في العبث فأتيت على حدود التعدية في الافعال ، وهو ما لا يؤنس به أو يسكن اليه أو يُساغ بحال .

ونظير هذا أن تقول (حزت على الشيء) حملا على (حصلت عليه) بدلا من (حزته) ، و (ظلمت عليه) حملا على (جرت عليه) بدلا من ظلمته ، ولو أن الاصل في الجور الميل ، ، أو تقول (نلت بالشيء) حملا على (فزت به) بدلا من (نلته) . وكله غريب غير سائغ ولا مستقيم .

ونحو من هذا أيضا إقرار الشيخ مصطفى الغلاييني (قبل به) حملا على (رضي به) ، والاصل (قبله) . فاذا كان القبول يفيد معنى الرضا، كما يفيد الرضا معنى القبول ، فأي غرض نبتغيه من تضمين (قبل)معنى (رضي) ؟ قال ابن القوطية (ورضيت الامر والشاهد رضا قبلتهما).وقال ابن الاثير في النهاية (القبول بفتح القاف المحبة والرضا بالشيء وميل النفس اليه).

واحتجّ الاستاذ الغلاييني لصحة (قبل به) حملا على (رضي به) فقال : (ألا ترى أن ــ أخذ ــ لمّا ضمّنوها معنى ــ رضي ــ عدّوها بالباء فقالوا : أخذ برأي فلان أي رضي به). أقول اذا صح هذا التضمين فإن (أخذ) مغاير في معناه لـ (رضي) . فاذا أنت ضمّنت ذاك معنى هذا، فانك تجيز ما أجازوه . وليس كذلك تضمين (قبل) معنى (رضي) لان قبل تعني ما أردته من رضي ، كما رأيت .

وعندي أن (أخذت به) كـ (أمسكت به) فالاصل أن تقول (أخذته) و (أمسكته) . فاذا أدخلت الباء على مفعولهما فقد عنيت أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفعل قد جرى بمباشرتك وأكدت تعلقك به . ففي المصباح : (مسكت بالشيء مسكاً وتمسَّكت واستمسكت به بمعنى أخذت به وتعلَّقت واعتصمت) . وجاء في الهمع (٢/٢٠) : (قال أبو حيان قال أصحابنا الباء نوعان أحدهما التي لا يصل الفعل الى المفعول الاَّ بها ، نحو سطوت بعمرو ومررت بزيد ... والآخر الباء التي تدخل على المفعول المنتصب بفعله اذا كانت تفيد مباشرة الفعل للمفعول نحو أمسكت بزيد ، الاصل أمسكت زيداً فأدخلوا الباء ليُعلموا أن إمساكك كان مباشرة منك له ، بخلاف نحو أمسكت زيداً دون الباء فانه يُطلق على المنع من التصرف بوجه ما ، من غير مباشرة) .

واذا كان (أخذت به) يعني مباشرتك الشيء وتعلقك به ، فقولك (أخذت بالرأي وبالمذهب) مجازاً يفيد اعتناقك اياه اعتناقاً يجيئك أن تتبعه وتحكم به ، وكذلك أمسكت به . قال ابن منظور (ومسك بالشيء وأمسك به ومسَّك ... ومعنى قوله : والذين يمسّكون بالكتاب أي يؤمنون به ويحكمون بما فيه)[1] . وانظر الى قوله تعالى : (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوَّة وأْمر قومك يأخذوا بأحسنها[2]) أوَليس فيها أمر" بالعمل بما كتب الله واتباعه . قال الامام البيضاوي (أي بأحسن مافيها كالصبر والعفو ... على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى : واتبعوا أحسن ما أُنزِل اليكم من ربكم) .

هذا والأئمة لم تُجمع على قياس التضمين ، كما اختلف فيه أعضاء

---

(١) الاعراف / ١٦٩ .
(٢) الاعراف /١٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجمع اللغة العربية القاهري حين بحثوه قبل إقراره • وقد فزع بعضهم الى القول بسماعه خشية أن يتسحّ به الكتاب فيخفى عليهم وجهه ويستبهم حدّه فيقع به الخللُ في تصرّف الافعال وتعديتها • قال الشيخ أحمد الاسكندري عضو المجمع القاهري ، فيما دار حول التضمين: (رجعتُ الى أقوال العلماء بعد المناقشة التي دارت أمسِ ، فوجدت أن القائلين بسماعية التضمين انما يخشون أن يحدث في اللغة فساد واضطراب في معاني الافعال اذا أباحوه للناس ، مع أنهم يسلّمون أن ماورد من التضمين كثير يجمع في مئين أوراقا) •

فمن الأئمة من أقر قياس التضمين ومنهم من منعه • وممن أقرّه علماء البيان اذ رأوا في التضمين ضربا من ضروب التوسع بحذف لفظ كالحال • فالفعل المضمّن قد دلّ على معناه الحقيقي ، وأتت حال من الفعل الملحوظ دلت عليها القرينة فحذفت • وحذفُ العامل بدليل ، قياس لا شبهة فيه •

فقد جاء في كتاب الفروق لاسماعيل الحقي (١٠٩) : (والتضمين أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ، ويلاحظ معه معنى آخر يناسبه • ويُدَل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر ، كقولك : أحمد إليك فلاناً ، فانك لاحظت مع الحمد معنى الانهاء ودللت عليه بذكر صلته ، أي كلمة ـ الى ـ أي أحمد منهياً إليك حمدي إياه) • وقال الزمخشري في كشافه (١/٨٩) حول ما جاء في التنزيل (ولتكبروا الله على ما هداكم ـ البقرة /١٨٥) : (وعدّوا معنى التكبير بحرف الاستعلاء ليكون مضمّنا معنى الحمد ، كأنه قيل لتكبروا الله حامدين على ماهداكم) •

فقد رأى البيانيون أن الفعل المذكور انما يدلّ على معناه الوضعي،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويدل على المعنى الآخر لفظ محذوف ، كالحال من الفعل المقدّر ، بمعونة قرينة لفظية. فيجتمع في التضمين معنيان. ولم يتصوروا إشراب الفعل المذكور معنى الفعل الملحوظ ، ليدلّ على المعنيين جميعا ، كما فعل النحاة . ومذهب البيانيين هذا هو مذهب الزمخشري وما انتحاه الإمامان السعد والسيّد في تقريرهما لكلامه .

يقول السعد : (حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه) ، ويقول : (ان الفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية نحو أحمد إليك فلانا ، معناه أحمده منهياً اليك حمده . وقد يعكس كما يقال في : يؤمنون بالغيب ــ يعترفون به مؤمنين) .

وقال السيّد : (ذهب بعضهم الى أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط ، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ما هو من متعلقاته . فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام والمحذوف قيداً فيه ، على أنه حال ، كما في قوله : ولتكبروا الله على ماهداكم ، كأنه قيل : لتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلاً) .

وجاء في الكليات لأبي البقاء نحو من هذا (١٠٨) .

وفي معرب الإظهار للشيخ حسن زاده (١٢) حول قول المؤلف الشيخ محمد البركوي (فوجب ترتيبها على ثلاثة أبواب) : (أي وجب ترتيب أجزائها مشتملة أو مقصورة على ثلاثة ، أو وجب قصرها أو اشتمالها على ثلاثة مرتبة ، على القولين في التضمين من جعل الاصل ثابتاً ، والمضمّن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قيداً في المعنى ، وعكسه وحينئذ فكلمة على متعلقة بالاصل بملاحظةمعنى المضمِّن أو بالمضمَّن).

فقد تقدَّر الحال المحذوفة إذاً ، من الفعل المذكور أو من الفعل المقدر المحذوف . إذ قدر السعد قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم):ولا تأكلوا أموالهم ضامِّيها الى أموالكم ، وقدَّره الزمخشري: ولا تضمُّوها اليها آكِلين . ولكن لا يستوي الوجهان في كل موضع ، بل يؤثر أحد الوجهين ويرجح بحسب المعنى .

ولايلزم في كل تضمين أن يقدَّر المحذوف ــ حالاً ــ فقد يتصور غير ذلك ، على وفق المعنى المراد . قال السيد : (والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته) . وقال الزمخشري في كشَّافه حول تأويل قوله تعالى : (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ــ الزمر / ٥٣) : (أسرفوا على أنفسهم : جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلوِّ فيها) ، ولم يقل : جنوا عليها مُسرفين . هذا ولا يُشترط أن يُستدل على المعنى الملحوظ بحرف أو صلة ، فقد يُضمَّن الفعل اللازم معنى فعل متعدٍّ ، أو يضمَّن الفعل المتعدي الى مفعوله الثاني بالحرف معنى فعل متعدٍّ الى مفعولين ، فلا يكون هناك صلة . وإنَّما يُشترط أن تقوم ثمة قرينة للتضمين . قال صاحب الفروق (١٠٩) : (والاحسن أن يقال : ويُدل على الفعل الآخر إمَّا بذكر شيء من متعلقاته ، كما في أحمد إليك فلاناً ، أو حذف شيء من متعلقات الاول كما في قولهم : هيجني شوقاً ، بحذف صلة هيجني . قال صاحب الكشاف انهم يضمون الفعل معنى فعل آخر ، فيجرونه مجراه ، فيقولون : هيجني شوقاً . فعدّى الى مفعولين بنفسه وان كان حقه أن يتعدّى الى الثاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بإلى ويقال : هيجه الى كذا ، لتضمينه معنى ذكّر . هذا كلامه فقد صرّح أن الفعل لم يُدلّ عليه بذكر شيء من متعلقاته ، بل بحذف صلة الفعل الأول) .

أراد الزمخشري بكلامه هذا قول النابغة :

إذا تغنّى الحمام الورق هيّجني ولو تعزيت عنها ، أمّ عمّار

وهو من أبيات الكتاب ، وقد روي فيه (ولو تَعَزّيْتُ ..) . قال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٣١٥) : (لأنه تصوّر هيجني أنه ذكّرني فعدّى تعديته) أي هيّجني فذكّرني أمّ عمار .

هذا وقد قال جماعة من نحاة البصرة بقياس التضمين، على أنه ضرب من ضروب المجاز . والمجاز قياس . واذا كان التوسّع في الفعل كان التضمين من قبيل المجاز المرسل . والمجاز المرسل استعمال" للفظ في غير ما وُضع له، لعلاقة غير المشابهة ، بقرينة مانعة من ارادة ماوضع له . والفعل المضمّن لايدلّ على معناه الوضعي ، ولا ينسلخ عنه أيضا ، وانما يراد به غير ما وضع له ، حين يُشرب معنى الفعل الآخر فيضمّ الى معناه الحقيقي معنى الفعل الملحوظ ، فيدلّ على المعنيين جميعا . قال ابن كمال باشا (وبالجملة لابد في التضمين من إرادة معنيين في لفظ واحد ، على وجه يكون كل منهما بعض المراد) .

واذا كان التوسّع في الحرف ، كان التضمين استعارة تبعية . وانما تجري الاستعارة في الحرف باستعارة متعلق معناه ، ثم استعارة الحرف نفسه تبعاً له .

وعندي أن المجاز الذي ليس هو تضميناً ، ذلك الذي لا يُستعمَل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

به اللفظ في معناه ، ومعنى الآخر جميعا • بل يتحوّل عن معناه الحقيقي الى المعنى الآخر فيستعمل فيه لعلاقة بين المعنيين ، بقرينة مانعة من إرادة معناه الحقيقي •

هذا واذا كنا قد ذكرنا اللفظ بدل الفعل فذلك لأنّ مَـنْ استعمل لفظ الفعل فقد جاء به على جهة التمثيل لا الحصر • فقد يُضَمَّن اسم معنى اسم لإفادة معنى اسمين ، كقوله تعالى : (حقيق عليّ ألاّ أقول على الله إلاّ الحق ــ الأعراف / ١٠٤)• فقد ضمِّن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه ، كما ذكره ابن عبد السلام في كتابه مجاز القرآن •

وقد أنِسَ النُّحاةُ ، في تقرير قياس التضمين ، بقول ابن جني في الخصائص (٢/٢٠٨) : (إعلم أنّ الفعلَ اذا كان بمعنى فعلٍ آخر ، وكان أحدهما يتعدّى بحرف ، والآخر بحرف ، فان العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر • لذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه) • وقد حُكي في بعض النصوص لفظ (مجازاً) بعد قوله (موقع صاحبه)•

كما أنس النحاة بقول ابن جني بعد هذا : (ووجدت في اللغة شيئاً كثيرا لايكاد يُحاط به ولعلّه لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً)•

قال محمد الأمير في حاشية المغني(٢/١١٦): (قال ابن جني لو جُمعت تضمينات العرب ملأت مجلّدات • فظاهره القولُ بأنه قياس) • وقد كرر هذا في غير موضع •

وفي حاشية الصبان على الاشموني (٢/٢٣٢) تفريق بين تضمين نحوي هو إشراب كلمة معنى كلمة أخرى تؤدي المعنيين وأنه قياس عند

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاكثرين ، كما جاء في الارتشاف لأبي حيان ، وتضمين بياني بتقدير حال يناسبها المعمول بعدها ، وهو قياس اتفاقاً ، لكونه من قبيل حذف العامل بدليل ، كما قال السعد ومتابعوه.وقد ذهب ابن كمال باشا الى التوفيق بين النحوي والبياني فجعل تقدير العامل في البياني تفسيراً للفعل المضمَّن.

وقال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها / ٢٠٥) : (للتضمين غرض هو الايجاز . وللتضمين قرينة هي تعدية الفعل بالحرف ، وهو يتعدى بنفسه . أو تعديته بنفسه وهو يتعدى بالحرف . وللتضمين شرط هو وجود مناسبة بين الفعلين . وكثرة وروده في الكلام المنثور والمنظوم ، تدل على أنه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية ، متى حافظ على شرطه وهو مراعاة المناسبة..).

★ ★ ★

وهاهنا موضع لابد من الكشف عنه ، ذلك أنه اذا كان فعل في معنى فعل آخر ، أو أنه استعمل في معنى فعل آخر ، أفيصحُّ أن يُعَدَّى تعديته ويُسمَّى ذلك تضميناً فيكون قياساً ؟ ظاهرُ قولِ ابن جني أنه اتَّفق من ذلك مستفيضٌ مِن كلامِ العرب حتَّى عدَّهُ كثير من الأئمة قياساً . قال ابن جني في المحتسب (١/٥٢) : (متى كان فعل من الافعال في معنى فعل آخر فكثيراً مايجري أحدهما مجرى صاحبه فيُعدَلُ في الاستعمال به إليه ، ويُحتَذى في تصرفه حذو صاحبه ، وان كان طريق الاستعمال والعرف ضدّ مأخذه) . فما تأويل كلامه هذا؟

أقول اذا عدنا الى ما أورده ابن جني من الشواهد برهانا على صحة ما ذهب اليه في هذا الموضع من الخصائص والمحتسب ، لحظنا أن الفعل الذي استعير له الحرف الجديد ليس في معنى الفعل الذي استعير منه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الحرف ، ولا استعمل في معناه وحده ، لكن بين المعنيين من المناسبة ما قد يصل الى حدّ انتمائهما الى جنس واحد .

قال ابن جني في الخصائص (٢/٣٠٨) : (وذلك كقول الله عز اسمه : أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ الى نسائكم ـ البقرة ١٨٧ ـ وأنت لا تقول رفثت الى المرأة وانما تقول رفثت بها أو معها . لكنه لما كان الرفث هذا في معنى الإفضاء وكنت تعدّي أفضيت بإلى كقولك أفضيت الى المرأة ، جئت بإلى مع الرَّفث ، إيذاناً وإشعاراً بمعناه) .وقال الإمام البيضاوي في تفسيره : (وعدّى بإلى لتضمّنه معنى الإفضاء) فما توجيه قولهما ؟

أقول الذي يُقصَد بهذا أن في (الرَّفَث) معنى (الإفضاء) فحين أُريد أن يشار الى ما يتّسع له (الرَّفث) من ذلك ، عُدّي بإلى توجها الى المعنى المراد . قال الزمخشري في كشافه : (فإن قلت لِمَ عُدّي بإلى، قلت لتضمينه معنى الافضاء ، لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشمل كل منهما الآخر) . وهذا يعني أن الرَّفَث غير الافضاء في الوضع . ذلك أن الرّفث أصل في الجماع ، وليس الافضاء أصلا فيه . ففي المصباح : (وقيل الرّفث يكون في الفرج بالجماع ، وبالعين بالغمز للجماع ، وفي اللسان للمواعدة به) .

وفي اللسان : (الافضاء في الحقيقة الانتهاء ، ومنه قوله تعالى : فكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ، أي انتهى وأوى) . وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : (الراء والفاء والثاء أصل واحد . وهو كلام يُستحيا من إظهاره . وأصله الرَّفَث وهو النكاح . قال الله جلّ ثناؤه:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أحِلّ لكم ليلة الصيام الرّفَث الى نسائكم ، والرّفَث الفحش في الكلام ..) .

وقد عرض ابن هشام في المغني لهذه الآية (٢/١٨٥) فأيّد قول الزمخشري . إذ عرّف التضمين وقال : (وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين) . ثم قال: (ومن ذلك قوله تعالى: الرّفَث الى نسائكم.وضمّن الرّفَث معنى الافضاء فعدّى بإلى ، مثل : وقد أفضى بعضكم الى بعض . وانما أصل الرّفَث أن يتعدّى بالباء) . ويشهد هذا بأن لكل من الفعلين في الاصل معنى لا يؤديّه الآخر . فاذا ثبت أن الرّفَث أصل في الجماع أو الفحش ، كما صرّح به كثيرون ، وأشار اليه الافصاح حين قال : (والرّفَث كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة في سبيل الاستمتاع بها من غير كناية) ، فان الافضاء ، كما رأيت ، انتهاء وإواء ، هذا أصله . وقد يعني الافضاء ، مع ذلك، الجماع ، ولكن بطريق الكناية، لا من حيث الاصل، وإن بدا كذلك . قال صاحب المفردات: (وأفضى الى امرأته في الكناية،أبلغ...من قولهم خلا بها . قال : وقد أفضى بعضكم الى بعض) . وقد شرح ابن فارس هذه الكناية فقال في المقاييس (ويقولون أفضى الرجل الى امرأته باشرها ، والمعنى فيه عندنا أنه شبّه مقدّم جسمه بفضاء ، ومقدّم جسمها بفضاء ، فكأنه قد لاقى فضاءها بفضائه) . وأشار الى ذلك الزمخشري في كشافه فقال : (لِما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشمل كل منهما الآخر). ومتى استبان أن في الرّفَث معنى الافضاء الذي هو الانتهاء والإواء ، فلا خفاء أن هناك جنساً من المعنى يضم بينهما ويشملهما جميعاً .

واذا كان ظاهر كلام ابن جني أن الفعل قد استعمل في معنى الآخر،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان قد سبق بعض الأئمة الى الاستظهار به لاعتداد ماجاء من قبيل هذا المجاز تضميناً دون اشتراط انطوائه على معنيين ، فانه قد اتضح بأن شاهد أبي الفتح صريح بأن الرَّفث قد استعمل فيما وضع له وفي معنى الفعل الآخر ، وأن قوله أنه استعمل في معنى الآخر انما يراد به استعماله في معناه، ومعنى الآخر جميعاً .

وقد أورد ابن جني في الخصائص (٢/٣٠٨) مثالا آخر فقال : (وكذا قوله عزّ اسمه : هل لك الى أن تَزَكَّى ــ النازعات/١٨ ــ وأنت تقول: هل لك في كذا . لكنه لما كان ، على هذا ، دعاء منه ــ ص ــ صار تقديره: أدعوك وأرشدك الى أن تَزَكَّى).

أقول لاجرم أن في قولك (هل لك في فعل كذا) مايفيد سؤالك المخاطب هل يرغب في فعل هذا الامر ، وأنت تعني أن تشعره بأنك راغب في أن يفعله . فاذا أريد أن يضاف الى هذا (دعوة) الى فعله ، على سبيل التضمين ، قيل (هل لك الى فعل كذا) . فالتضمين قد ضمّ الدعوة الى الرغبة ، وبين المعنيين تغاير وتناسب . فانظر الى قول ابن جني في المحتسب (١/٥٢) : (وأنت انما تقول هل لك في كذا ، لكنه لما دخله معنى أجذبك الى كذا وأدعوك اليه ، قال : هل لك الى أن تَزَكَّى) . أوَليس في قول ابن جني (لكنه لما دخله معنى أجذبك) اشارة صريحة بأن هناك معنى في الاصل دخله معنى آخر بدلالة الحرف (الى) ، فاجتمع بذلك معنيان ؟ وقوله (دخله) لايعني بحال أن المعنى الطارىء قد نسخ الاول فحلّ محلّه ، ومن ثم كان تأويل قول أبي الفتح (ان الفعل قد استعمل في معنى الآخر) أنه استعمل ــ كما ذكرنا ــ في معناه ومعنى الآخر . وأما التناسب بين المعنيين فواضح في أن إشعار صاحبك أنك راغب في الامر يعني دعوتك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى فعله ضمناً • فاذا عمدت الى التضمين فقد قصدت دعوته الى فعله صراحة • فالمعنيان متدانيان بحيث ينتميان الى جنس • ففي رغبتك في أمر دعوة الى تحصيله وتحقيقه •

هذا وقد رأى أبو حيان في قوله تعالى (إذهب الى فرعون إنّه طغى فقل : هل لك الى أن تَزَكّى) لطفاً في الاستدعاء ، كما أوضحه في البحر المحيط • ذلك (أن كل عاقل يجيب مثل هذا السؤال بنعم) • أو ليس هو دعوة الى التطهر من الرذائل والتحلّي بالفضائل ؟ أقول ان في صيغة السؤال (هل لك في كذا) أو (الى كذا) توقعاً للاستجابة ، يناسب لطف الاستدعاء الذي أشار اليه أبو حيان •

ومن شواهد ابن جني قول الفرزدق (قد قتل الله زياداً عني)• قال ابن جني في الخصائص : (لما كان معنى قد قَتَله قد صرفه عدّاه بعن) وقال في المحتسب (١/٥٢) : (فاستعمل عن ، هاهنا ، لما دخل من معنى قد صرف الله عني ، لانه اذا قتله فقد صرف عنه)•

أقول اذا كان ابن جني قد قال أولا (لان معنى قد قتله قد صرفه) فذلك لايعني أن القتل هو الصرف ، وإنما يُرادُ به أن في قتله صرفاً له، ولذا قال ثانيا (لانه اذا قتله فقد صُرِف عنه) • وهكذا قولك : اذا بكيت فقد حزنت ، فانه لايعني أن البكاء والحزن سواء • فالحق إذاً أن القتل غير الصرف ، لكن في القتل صرفاً • فحين أريد الاشارة الى هذا المعنى عُدّيَ القتل بـ (عن) ، وأصبح معنى (قتل الله زياداً عني) قتل الله زياداً فصرفه عني • وهذا تأويل قولهم ان المضمَّن يؤدّي معنيين • وقد جاء في مجاز القرآن لابن عبد السلام (ويضمَّن فعل معنى فعل،فتعدّيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيضا تعديته في بعض المواضع كقول الشاعر : قد قتل الله زياداً عني ، ضُمِّن قتل معنى صرف لإفادة أنه صرفه حكماً بالقتل ، دون ما عداه من الاسباب ، فأفاد القتل والصرف جميعا) . ولا شك أن بين المعنيين(القتل) و (الصرف) من المناسبة بحيث يُعزوان الى جنس ، فالاول محتوٍ للآخر.

فثبت بما أسلفنا أن الفعل المضمَّن في شواهد ابن جني لم يُستعمل في معنى الآخر ، وانما جاء في معناه ومعنى الآخر . لكنه اتفق أن كان فيها من تناسب المعنيين ، ما اتسع له جنس واحد من المعنى .

ومما نحن بسبيله ما حكاه الاستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية القاهري ، مما ذكره العلامة ياسين في حاشية التصريح . قال ياسين : (واعلم أن كلام المصنف في المغني ، في تقريره التضمين في مواضع ، يقتضي أن أحد اللفظين مستعمل في معنى الآخر ، لانه قال في ــ وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه ــ آل عمران / ١١٥ ــ أي فلن يحرموه .. ، وحينئذ فمعنى قوله ــ إشراب لفظ معنى لفظ آخر ــ أن اللفظ مستعمل في معنى الآخر فقط . فان هذا هوالموافق لذلك التقرير ، وان احتمل أنه مستعمل في معناه ومعنى الآخر) . حكى الاستاذ حسين الوالي هذا ، ثم جاء بما ذكره ابن جني في الخصائص حين قال (إن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين ..) فأكّد أن قول ابن جني صريح في أن الفعل مستعمل في معنى الآخر فقط ، وأردف : (وعلى هذا فالتضمين مجاز مرسل لانه استعمال اللفظ في غير معناه ، لعلاقة بينهما وقرينة ، كما سيتضح ذلك ، وهو أحد الاقوال فيه) .

أقول قد بيّنّا فيما سلف أن الفعل المضمَّن في شواهد ابن جني قد استُعمل في معناه ومعنى الآخر . أما الجواب عما جاء في حاشية التصريح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما تلاه من تعليق عضو المجمع القاهري فذلك أن صاحب المغني قد ذكر أن التضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر ، لكنه أردف : (وفائدته أن تؤدّي كلمة مؤدّى كلمتين) •وهذايعني أن إشراب اللفظ يقتضي استعماله في معناه ومعنى الآخر جميعا • أما قول ابن هشام (فلن تكفروه أي فلن تحرموه) فانه حكاية لما قاله الزمخشري • قال صاحب الكشاف (١/١١٦): (فان قلتَ لِمَ عُدّيَ الى مفعولين ، وشكر وكفر لا يتعديان الاّ الى واحد ، تقول شكر النعمة وكفرها ، قلت ضمّن معنى الحرمان ، فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه) •

أوضح الزمخشري بقوله هذا كيف عُدل بالتضمين الى تعدية كفر تعدية حرم • ولم يُشر الى ما تضمنته الآية من معنى الجحود والحرمان جميعا ، خلافا لما فعل في أمثلة كثيرة من التضمين بعد أن أشار الى أن الغرض منه اعطاء مجموع معنيين •

وعندي أنه لا شك أن (تكفروه) قد ضم في الآية بتضمينه معنى حرم ، معنى الجحود الذي هو معناه ، ومعنى الحرمان الذي أُشربه • قال القرطبي في تفسيره (ومعنى الآية ، وما تفعلوا من خير فلن تجحدوا ثوابه بل يشكر لكم) وهذا معنى لن تكفروه ، وأردف : (وتجازون عليه) وهذا مؤدّى (لن تحرموه) • كذلك كانت شواهد أبي الفتح في انطوائها على المعنيين ، كما فصلناه •

وقد رأيتُ أبا حيان يقول : (ولما جاء وصفه تعالى بأنه شكور في معنى توفية الثواب ، نفى عنه تعالى نقيض الشكر) • ولا يخفى أن نقيض الشكر هو الكفر ، قال صاحب المفردات : (الشكر تصوّر النعمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واظهارها ... أي الكشف ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها) فنفي الكفر اذاً مقصود في الآية ، على أن أبا حيان يختم كلامه فيقول (وهو كفر الثواب أي حرمانه) !

فما الذي أتاح للزمخشري اذاً أن يقول (فكأنه قيل فلن تحرموه) وأتاح لأبي حيان أن يقول (كفر الثواب أي حرمانه) وأوحى لابن جني أن يعبّر عما يريد بقوله (... فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذاك الآخر) ؟

أقول الذي بعث الأئمة أن يفسروا الفعل المضمّن بما أشرب من معنى وأن يسكتوا عن معناه ، أن المعنيين في أمثلة التضمين هذه ، قد جاءا متدانيين بحيث يعزوان الى جنس ، فيبدوان وكأنهما قد تعاقبا على دلالة. وقد أوضحنا هذا فيما تقدّم من شواهد ابن جني ، أما قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) فالكفر هو الجحود ، والحرمان الذي ضُمّنه هو غير الجحود . ولكنك اذا جحدت رجلا حقه فقد حرمته ايّاه ، واذا حرمته حقّه فقد جحدته هذا الحق ، فالمعنيان قد تفرعا على أصل واحد.

وجاء في كتاب الفروق لاسماعيل الحقي (أن تعدية سأل ، في قوله تعالى ، سأل سائل بعذاب واقع ، بالباء ، من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير ، فان نظيره : دعا ، يتعدى بالباء ، لا من التعدية بالتضمين كما زعم صاحب الكشاف حيث قال : ضُمّن سأل معنى دعا فعُدّي تعديته ، كأنه قيل : دعا داع بعذاب واقع ، لان فائدة التضمين على ما صرّح بذلك الفاضل في تفسير سورة النحل ، اعطاء مجموع المعنيين . ولا فائدة في الجمع بين معنى سأل ومعنى دعا ، لان أحدهما يُغني عن الآخر)! أقول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا صح أن (دعا) بمعنى (سأل) كما دلّ عليه ظاهر كلام الزمخشري ، فلا وجه لتضمين هذا معنى ذاك ، على ما جاء في الفروق . ولكن هل يتعاقب الفعلان على معنى ويتواردان على دلالة واحدة حقاً ؟

ان من المفسرين من جعل تعدية (سأل) بالباء في الآية ، كتعديته بـ ـ عن ـ سواء بسواء ، على حد قوله تعالى (فاسأل به خبيراً ـ الفرقان/ ٥٥) أي فاسأل عنه خبيرا . فيكون معنى السؤال هنا هو الاستعلام ، ويكون تفسير (سأل سائل بعذاب واقع) : سأل سائل عن عذاب واقع ، والامر فيه واضحٌ جليٌّ . قال الجوهري : (سأل سائل بعذاب واقع ، أي عن عذاب واقع ، وقال الاخفش : يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان) .

وفي تفسير القرطبي عن ابن عباس أن (السؤال بمعنى الدعاء ، أي دعا داعٍ بعذاب .. يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب) .

أما الزمخشري فقد ذهب مذهباً آخر ، إذ قال في كشافه (٢/٤٨٧): (ضُمِّن سأل معنى دعا فَعُدِّي تعديته ، كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع ، من قولك ، دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه . ومنه قوله تعالى : يدعون فيها بكل فاكهة ـ الدخان /٥٥) . ففسَّر الآية تفسيراً آخر بتضمين (سأل) معنى (دعا به) فهل يتوجه على هذا التضمين أن الفعلين قد تورادا فيه على معنى بخلاف شرطه ، وأنه لا بد من حمل الآية على وجهة ثانية كحمل النظير على النظير ، كما ذهب اليه صاحب الفروق ؟

أقول ان الفعلين لم يتعاقبا على معنى ، وأن تضمين أولهما معنى الآخر ، سائغ مقبول . فالسؤال هنا بمعنى طلب الشيء أو التماسه ، وهو يتعدّى مباشرة الى مفعولين ، تقول (سألته حاجة) . أما (دعا به)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالذي قصد اليه الزمخشري من معناه هو الاستدعاء والاستحضار • قال الزمخشري في كشافه (دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه) • وقال في الاساس (دعا بالكتاب استحضره ، يدعون فيها بكل فاكهة ــ الاية) • وقال القاضي الجرجاني في الوساطة (٣٤٦) : (فإنما يقال دعا بكذا اذا طَلَب أن يُؤتى بذلك الشيء كقول الفرزدق :

دعوتُ[1] بقضبان الأراكِ التي جنى لها الركبُ من نعمان أيام عرّفوا)

فسأل معناه طلب الشيء ، أو طلب تحقيق السؤل وقضاء الحاجة ، ودعا به معناه استحضار الشيء واستدعاؤه ، فهما متغايران • فاذا قلت (سألت به) حملا على (دعوت به) تضميناً ضَمَمْتَ المعنيين : طلبَ الشيء وتحقيق السؤل ، ثم استدعاءَه • وهو ما أراده الزمخشري في تفسيره • ستقول : ولِمَ قال الزمخشري إذاً (كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع) أوَليس يعني هذا أن (سأل) قد أنزل بعد تعديته بالباء منزلة (دعا به) فانسلخ عنه معناه ليؤدي مؤدّى هذا الفعل ؟

أقول قد رأينا أن معنى (دعا به) يغاير معنى (سأله)• وقد أوضح الزمخشري في غير موضع أن غرض التضمين اعطاء معنيين ، صراحة أو ايماء • فاذا صحّ هذا كان مراد ــ جار الله ــ أن (سأل به) قد غدا يفيد معنى (دعا به) الى معناه • أما الذي أتاح للزمخشري أن يقول (كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع) وينتوي المعنيين ، فهو ما بعثه أن يقول (فكأنه قيل فلن تحرموه) ويضمر الجحود والحرمان ، كما ذكرناه في تفسير قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه)• فـ (سأل الشيء) بمعنى التمسه،

(١) في ديوان الفرزدق : « دعون » بنون الاناث • وقبل البيت :

وان نبهتهنّ الولائد بعدما تصعّد يوم الصيف أو كاد ينصف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (دعا بـه) بسعنى طلب احضاره ، والمعنيان متجانسان بحيث يتفرعان على جنس . ففي قولك (دعوت بالشيء) طلبٌ على كل حال . قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) : (يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه) . وكذلك بيَّنا أن في جحودك حق رجل حرماناً لحقه ، فاذا جحدت رجلا حقه فقد حرمته اياه .

فتأويل قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) : سأل سائل أو التمس ملتمس داعياً بعذاب واقع ، أو التمس ملتمس ودعا بعذاب واقع ، وقد حذف مفعول الفعل الاول في العبارة الاولى فدل عليه متعلق الفعل في العبارة الثانية . وهو ما يسمَّى بـ (الاحتباك).

ويسدد قولنا هذا معنى الآية ، ذلك أن فيها (سؤال السائل) على جهة الحاجة من جانب ، وطلبه استنزال العذاب أو استمطاره عليه أو على الكافرين ، من جانب آخر . ففي السؤال طلب للسؤل ، والسؤل كما قال صاحب المفردات (الحاجة التي تحرص النفسُ عليها) . أما طلب استنزال العذاب فهو صريح بقول السائل ، وهو النضر بن الحارث ﴿ فأمطر علينا حجارة من السماء أوِ ائْتِنا بعذاب أليم) ـ (الانفال/٣٢) كما أشار اليه الزمخشري . وقال البيضاوي : (والسائل هو النضر بن الحارث فانه قال : ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو أبو جهل فانه قال : أسقط علينا كسفاً من السماء ، سأله استهزاء ، أو الرسول صلى الله عليه وسلم : استعجل هذا بهم). وقال أبو حيان في البحر المحيط (وقيل السائل نوح عليه السلام،سأل العذاب على الكافرين، وقيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : سأل الله أن يشدّد وطأته على مضر ـ الحديث ـ فاستجاب الله دعوته).

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وقد بحث مجمع اللغة العربية في القاهرة (التضمين) فعرّفه بقوله (١/١٨٠) : (التضمين أن يؤدّي فعل أو ما في معناه في التعبير ، مؤدّى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم) • وأقر المجمع قياسه بشروط ثلاثة :

الاول : تحقيق المناسبة بين الفعلين ، والثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس ، والثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي •

وأردف المجمع فقال : (ويوصي المجمع ألاّ يلجأ الى التضمين الاّ لغرض بلاغي) • وشرح الشيخ أحمد الاسكندري عضو المجمع القاهري شروط التضمين هذه ، وذكر ما يقصد بالمناسبة بين الفعلين ، فقال : (بل لابدّ أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما • بل زعم بعضهم أنهما قد يتساويان حتى كأنّ فعلا قد تضمّن لفظ فعل آخر) •

أقول أمّا تعريف المجمع القاهري للتضمين فقد جاء يجمع بين تعريفه البياني وكثير مما قيل في النحوي•وهولم يسنع ، على كل حال ، أن يجتمع للتضمين معنى الفعل المضمّن ، ومؤدّى الفعل الآخر • ولو قيل :(التضمين أن يُضمّن فعل أو ما في معناه ، معنى فعل آخر ••) أو (أن يُشرب فعل أو مافي معناه معنى فعل أو ••) لكان أدلّ على ارادة المعنيين ، لاشتراط ذلك عند الاكثرين • ففي لفظ التضمين احتواء شيء شيئا آخر ، وفي الاشراب جريان شيء في شيء •• أو يضاف ما يفيد ذلك •

أما قول الشيخ الاسكندري (بل لابد من أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما) فانه يلفت النظر ويدعو الى التدبّر • ذلك أنه اذا اتفق أن تدانى المعنيان فاعتزيا الى جنس في كثير من الشواهد ، على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما فصّلناه ، فان ذلك لا يطّرد ولا يستمر • بل يكفي أن تؤكد المناسبة علاقة من علاقات المجاز • قال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) : (فاذا لم توجد بين الفعلين العلاقة المعتبرة في صحة المجاز ، كان التضمين باطلا) • فالعلاقة المطلوبة بين المعنيين هي العلاقة التي قيّد بها المجاز • وقد عدد العلماء العلاقات المصحّحة لاستعمال المجاز ، فأوصلها بعضهم الى سبع وعشرين ، وزادها آخرون ، على ماهو مفصّل في الامهات •

ذلك أن ثمة فرقاً بين انتماء المعنيين الى جنس ، وبين تلازم صورتيهما على شكل من الاشكال • ففي الاول اشتراك للمعنيين في ناحية من نواحي الدلالة ، وليس في الثاني مثل هذا الاشتراك • فبين الرغبة في أمر والدعوة اليه اشتراك ، وكذلك بين الرّفث والافضاء وبين القتل والصرف وبين الكفر والحرمان وبين سؤالك حاجة وأن تدعو بها ، على ماشرحناه فيما تقدم من شواهد التضمين • وليس في كثير من أمثلة التضمين نحو من هنا الاشتراك •

فمما ذكروا من الامثلة وأتى به الاسكندري قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ــ النساء/٢) فقد قدر السعد (ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم): ولا تأكلوا أموالهم ضامّيها الى أموالكم ، وقدرها الزمخشري : ولا تضمّوها اليها آكلين • وقال الامام البيضاوي : (ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم أي لا تنفقوها معا ، ولا تسوّوا بينهما ، وهذا حلال وذاك حرام) فهل يدخل (الضمّ) و (الأكل) الذي هو الانفاق ، في جنس من المعنى ؟ فالواضح أنه ليس بين الاكل أو الانفاق ، وبين الضم اشتراك •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكل ما في الامر أن في تكرر حدث الفعل ما يقتضي تعدد محل وقوعه ، وضم محل الى آخر . فتقول : (أكلت هذا الى ذاك) فتتلازم الصورتان . ونظير هذا قوله تعالى (ولتكبّروا الله على ما هداكم ـ البقرة/ ١٨٥) أي لتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، وقولك (أحمد اليك فلانا) أي أحمده منهياً اليك حمده . فليس بين التكبير والحمد ما يتيح اعتزاءهما الى جنس لكن هناك تصورا لتلازم صورتيهما ، وكذلك ما بين الحمد والانهاء ، فان في حمدك تطلعاً لان يحمده سواك فتنهي الحمد اليه فتتلازم الصورتان حمدك وإنهاؤك هذا الحمد .

وشاهد آخر . قال جميل بن عبد الله بن معمر :

فما أنفيك كي تزداد لؤماً ... لِألأَم من أبيك ولا أذلاّ

قال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٣١٤/٣١٥) : (يقول لا أبرّئك من أبيك طلباً لان أنسبك الى من هو ألأم منه وأذلّ ، فتزداد ذلاً ولؤماً . لأن أباك النهاية في هذين . وانتصب لؤما على التمييز . واللام من : لِألأَم ، تعلّق بفعل مضمر كأنه قال : ما أنفيك من أبيك وأدعوك لِألأَم منه ، لانه اذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره . ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى فيُتصور أنفيك بأدعوك ويُعدّى تعديته . ومثله قوله عز وجل : هل لك الى أن تَزَكّى) . فتأويل (ما أنفيك .. لألأم من أبيك) ما أبرّئك من نسبك لأعزوك أو أدعوك لرجل ألأم من أبيك فما العلاقة بين (النفي) و (العزو) ، أو بين قطع النسب ووصله ؟ انها علاقة تلازم أيضا . فما دام لابد من الانتساب في الاصل ، فقطع النسب من جهة يستلزم وصله بجهة أخرى . أو هي علاقة تقابل بين نقيضين ، ولا شيء غير هـذا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فثبت بما قدّمنا أنه لا يلزم من تحقيق المناسبة بين المعنيين ، أن يفضي أحدهما الى الآخر بحيث يلتقيان في جنس واحد • بل يُجْتَزأُ من هذا بأن تقوم بينهما علاقة من علاقات المجاز • وقال الشيخ أحمد الاسكندري: (الشرط الاول ، وهو تحقق المناسبة بين الفعلين ، حاجز مانع من تحميل الفعل معنى بعيداً عن معناه الوضعي بحيث تُفضي تعديته بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى الى فساد الكلام ••• فلا يجوز : أكلت الى الفاكهة، على أن أَكَل مضمَّن معنى مال ، وتناولت عن القوس مضمَّنا معنى رميت) • وكلامه هذا وجيه ظاهر الاستقامة • لكنه أردف : (بل لا بد من أن كلا المعنيين ينطويان تحت جنس يشملهما) • وهذا ما لم نشايعه فيه بالحجة • فاذا كان قد حدث أن تداخل المعنيان فأفضى أحدهما الى الآخر والتقيا في جنس فقد اتفق أن لم يكن بينهما غير علاقة من علاقات المجاز كما بيناه • وتابع الاسكندري كلامه فقال (بل قد زعم بعضهم أنهما قد يتساويان حتى كأن فعلاً تضمن لفظ فعل آخر)• لكنه فنَّد هذا بقوله (ومن الثاني المزعوم فيه تساوي المعنيين قوله تعالى / وقد أحسن بي ــ يوسف / ١٠٠ / قالوا أنه ضمِّن معنى لطف فعدّي بالباء • وزعم الدسوقي والامير أن معنى لطف وأحسن واحد • ولكن المعجمات مجمعة على اختلاف المعنيين ، وان تقاربا • ولم يصرّح معجم منها في مادةٍ ، الاحسان بمعنى اللطف ، ولا العكس ، حتى الاساس المميز بين الحقيقة والمجاز • بل صرحوا أن معنى اللطف الوضعي هو صغر الجسم ودقته، وعدم الجفاء والضخامة ، وأنه قد يخرج الى معنى مجازي هو الرفق••• والحق ان المناسبة اشتدت بينهما حتى أشبها المتماثلين وأنهما يجمعهما جنس قريب هو : عُني به) •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أقول لابد في التضمين من ارادة معنيين، قال السيد : (ان التضمين يجب فيه القصد الى المعنيين) • فاللطف هو الرفق ، كما ذكر الاسكندري، يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفاً اذا رفق به ، هذا ما صرّح به ابن الاثير في النهاية والفيومي في المصباح •

أما الاحسان فأحد معانيه الإفضال والإنعام والايلاء ، لكنه أعم من ذلك وأشمل • قال صاحب المفردات (والإحسان أعم من الإنعام • قال تعالى : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وقوله تعالى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، فالإحسان فوق العدل • وذلك أن العدل هو أن يُعطي ماعليه، والاحسان أن يُعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له • فالاحسان زائد على العدل) • ثم قال : (ولذلك عظّم الله ثواب المحسنين) • فاذا أنت ضمّنت الاحسان معنى اللطف فقد قصدت بذلك الى معنى الاحسانعامة، والإلحاح على ما يتسع له من اللطف خاصة •

لكن ملاك الأمر ألاّ يُفزع الى التضمين اذا أمكن حمل الكلام على أصله • قال الجوهري في صحاحه : (أحسنت اليه وبه) • وجاء في الأشباه والنظائر للسيوطي (٣/١٧٦) : (قال أبو نزار ••• وانما حَمَلَك على ذلك أنك وجدت ــ أحسن ــ يتعدّى بإلى في مثل قول القائل : أحسنت اليه ، ولا يقال : أحسنت به ، وجهلت أن الفعل قد يتعدّى بعدّة من حروف الجرّ ، على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل • لان هذه المعاني كائنة في الفعل ، وانما يثيرها ويُظهرها حروف الجر ••) ثم قال : (فيكون التقدير في الآية ــ أحسن الصنع بي ، ثم حذف المفعول لدلالة المعنىعليه •• فيصير المعنى : أوقع جميل صنعه بي ، واذا عدّيت بإلى ، يصير المعنى فيه الايصال ، كأنه قال : أوصل احسانه اليّ ، والمعنى متقارب وان كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقدير كل منهما غير تقدير الآخر) ، وختم كلامه فقال : (فليس ينبغي أن يحمل فعل على معنى فعل آخر الا عند انقطاع الاسباب الموجبة لبقاء الشيء على أصله) .

على أنهم يذكرون (للتضمين) في المعنيين المتدانيين مثلا آخر هو قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما / ١٣) . قال القرطبي في تفسيره حول تأويل قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرّفث الى نسائكم ـ البقرة ١٨٧) : (وأنت لاتقول رفث الى النساء ولكنه جيء به محمولاعلى الإفضاء الذي يراد به الملابسة) . وقال : (ومثله قوله تعالى : وكان بالمؤمنين رحيما ، حُمل على رؤوف في نحو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ألا ترى أنك تقول رؤفت به ولا تقول رحمت به ، لكنه لما وافقه في المعنى نزل منزلته في التعدية) .

أقول في الرفث والافضاء اشتراك في المعنى ، ففي كل منهما ملابسة. وقد عُدّي الرفث تعدية الافضاء بالتضمين ، كما فصّلناه .

وكذلك الرحمة والرأفة، فالذي يتبين بمراجعة الامهات،أن بينهما تداخلا في المعنى. ففي كل منهما (رقة وإحسان) .على أن الرأفة أبلغ في الرقة،والرحمة أبلغ في الإحسان . فأنت إذا أردت أن تقسو في تربية ولدك تأديباً له فقد تمنعك الرأفة به أن تقسو عليه . لكن الرحمة توجب التصرف في مصلحته فلاتحول دون ما قد يمليه التأديب من القسوة . ففي النهاية (والرأفة أرقّ من الرحمة ، ولا تكاد تقع في الكراهة ، والرحمة تقع في الكراهة للمصلحة). وفي المفردات (أن الرحمة منطوية على معنيين : الرقة والاحسان) ،وفيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(والرحمة رقة تقتضي الاحسان المجرّد عن الرقة) . ولما كان الغالب على (الرأفة) هو الرقة والرّفق فان (تضمين) الرحمة معنى الرأفة يعني الالحاح فيه على هذا المعنى دون الانفكاك عن المعنى الآخر .وهذا مؤدّى قول القرطبي (ولما وافقه في المعنى نزل منزلته في التعدية) . والموافقة عندي في محل اشتراك المعنيين ، لا فيهما جميعا كما رأيت.

واذا كان قد تسمح بعض اللغويين فجعلوا الرحمة والرأفة سواء ، فقد عمد كثرة المفسرين الى التمييز . وقد قال الجوهري (الرأفة أشدّ الرحمة) وذكر أبو هلال العسكري في فروقه (الرأفة أبلغ من الرحمة) ، وكأن المعنى أنها أرق . ففي المقاييس (الرأفة تدل على الرقة والرحمة) وفي اللسان (الرأفة أخص من الرحمة وأرق) وكذا في القرطبي . وانظر الى قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ــ النور / ٢) قال الزمخشري (والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلّبوا في دين الله ويستعملوا الجدّ والمتانة فيه ، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده).

★ ★ ★

هذا ويتصل بما نحن فيه قولهم سكت عنه وعليه ، وخرج عنهوعليه ونبا عنه وعليه ... فما تأويل ذلك ؟ أقول أما السكوت فهو الصمت . فاذا قلت (سكتّ) فأنت تعني أنك سكتّ عن الكلام . وقد تكون هناك حاجة الى التصريح بما يسكت عنه ، ولو كان قولا أو كالقول ، فتقول : سكتّ عن الجهر وعن القراءة وعن القول ، كما جاء في النهاية حول حديث (ماتقول في إسكاتتك) . أما اذا توقفت عما سوى ذلك فلا بد لك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن تفصح عن المسكوت عنه • تقول : سكت عن هذا الامر ، تعني أنك أغفلته أو تجاوزته أو تغاضيت عنه مجازاً • واستعمال (عن) هاهنا انما يجري فيما يطّرد من معانيها ، وهو المجاوزة •

وقد جاء في نهج البلاغة (٣/١٧٤) : (ان الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها••وسكت لكم عن أشياء ، ولم يدعها نسيانا ، فلاتتكلفوها)• وفيه (لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل)• وفيه أيضا (٢/٢٣٦) : (وخرسوا عن جواب السائلين عنه) •

على أنهم لم يقفوا في (سكت) عند هذا الحد ، بل قالوا (سكت عليه) أيضا • ففي أمالي المرتضى (١/٤٩٧) : (•• قال لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته الى مكان فأرشدني وأنشدني :

ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل)

فما تأويل قوله (السكوت على الجهل) ؟ أقول قد شاع قولهم (سكت عن الامر) حتى أصبح كالاصل ، فضُمّن (سكت) معنى (صبر) وبينهما اشتراك في المعنى • فاذا قلت (سكت على الجهل) فتأويله : سكت عن الجهل صابرا عليه •

ونحو من هذا قولك (نام عنه ونام عليه)• فاذا نمت حقاً ففاتك أمر، قيل (نمت عن كذا) ففي حديث الإفك قول بريرة تخاطب الرسول (ص): (لا والذي بعثك بالحق ، ان رأيت منها أمراً أغمصه ــ أي أعيبه ــ عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ••) • قال الشارح في تفسير (تنام عن العجين) : (لأن الحديث السنّ يغلبه النوم ويكثر عليه) • هذا هو الاصل • ثم قيل (نام عنه) مجازاً اذا غفل أو تغافل ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عامة • ففي الاساس (ونست عني نومة الأَمَة : غفلت عني وعن الاهتمام بي) • وفي نهج البلاغة (١/٧٨) : (لاينام عنكم ، وأنتم في غفلة ساهون) •

ثم اشتهر هذا فقيل حسلاً عليه (نام عليه) ، وتأويله (غفل أو تغافل صابرا عليه) • ففي نهج البلاغة (٣/٧٨) : (ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحَرَب) • قال الرضي : (ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال) والحَرَب بالتحريك سلب المال•

ومثل ذلك (خرج عنه) • ففي نهج البلاغة (٣/٨) : (فان خرج عن أمرهم خارج" بطعن أو بدعة ، ردّوه الى ما خرج عنه) •ومعناه خرج عن أمرتهم وطاعتهم • وقد استعمل (عن) فيما اطَّرد من معانيه وهو المجاوزة • ولما شاع استعماله في هذا ، حملوا عليه قولهم (خَرَجوا عليه) • قال المرزوقي في شرح الحماسة (٦٦٨): (أمَّا مشاقتك ومجاهدتك وركوب صعبٍ وذلولٍ في الخروج عنك وعليك ، وأما الرضا بالدنيَّة والدخول تحت العار والهضيمة) • وقد نصَّت المعاجم في الحديث عن الخوارج (سُمُّوا بذلك لخروجهم على الناس) أو (الخروج على الأئمة)• واذا كان معنى (الخروج عنه) هاهنا ترك الطاعة والامر ، فان معنى (الخروج عليه) القصد الى مشاقة صاحب الطاعة أو الامر ومجاهدته بالثورة والعصيان •

وقد قيل (خرج فلان على القانون) اذا ترك اتباعه وقصد الى مخالفته ، وهو نظير قولك (خرج على السلطان أو الإمام أو الخليفة) اذا تمنَّع عليه وعصاه • ففي محاضرات الادباء (٣/٣٤٣) : (وكان عبد الله ابن علي خرج على المنصور فوجه اليه أبا مسلم فهزمه) • فحلَّت (على)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

محل (عن) هنا في كل مجاهدة لصاحب سلطان • والقانون نفسه، أليس ذا صولة وقوة ؟ وقد قيل قديما للحق دولة ، والقانون دعامة هذا الحق•

والغريب أن الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي قد أقر (خرج فلان على الدولة) وأنكر (خرج فلان على القانون) ، وهما متنرّعان على أصل ، ذلك لشيوع استعمال (خرج على هذا الامر) اذا (جرى عليه وعمل به)•

والجواب عن ذلك أن جواز هذا وصحته واطراده ، لاتمنع من صواب ذاك • قال الإمام المرتضى في أماليه (وهذا القول خارج على طريق المجاز) بمعنى جار عليه • وفي الاساس (ناقة مخترجة خرجت على خلقة الجمل)أي صوِّرت على هذه الخلقة ، واستعمال (على) هاهنا انما كان فيما اطّرد من معانيها ، وهو الاستعلاء • فقولك (خرجت الصورة على أصلها) مثلا معناه جاءت أو بُنيت أو قامت أو استقرت على هذا البناء • ولا يمنع من صحة هذا صواب قول القائل (خرج على القانون) بمعنى امتنع عليه• ففي نهج البلاغة (٣/١٧٢):(نوم على يقين خير من صلاة في شك) أوليس معناه (نوم استقرّ على يقين خير من صلاة في شك) ؟ فهل منع هذا أن يقال (ينام الرجل على الثكل ولاينام على الحَرَب) بمعنى يتغافل صابرا على الثكل •• ، فالقرينة هي المعيار والفاصل في الحكم•

وقد خرَّج الاستاذ محمد العدناني في معجمه (خرج على القانون) على أنه مجاز من (خرج على الدولة) وعندي أن يخرّجا جميعا على تضمين (خرج عنه) وهو الاصل ، معنى (ثار عليه أو تمرّد) ، فيكون تأويل كل منهما (خرج ثائراً أو متمرداً عليه) • وبين المعنيين اشتراك ففي الثورة أو التمرد أو الامتناع خروج على كل حال • والمجاز الذي يعنينا هنا هو مجاز الفعل لا مجاز إسناده •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك قولهم (نبا عنه ونبا عليه) • فقد جاء في النهج (٣/١٠١): (ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء) أي يشتد ويعلو عليهم ليكفّ أيديهم عن ظلم الضعفاء •

ومنه قولهم (أغضى عنه وأغضى عليه) ، ففي النهج (٣/١٠١) : (أَغضِ على القذى والالم ، ترضَ أبداً) • فالإغضاء على أمر كناية عن تحمل أذاه والصبر عليه ، ومن لم يتحمل يعش ساخطاً ، كما جاء في تفسيره •

ومنه (شرد عنه وشرد عليه) • ففي النهاية (لتدخلُنّ الجنة أجمعون أكتعون الاّ من شرد على الله ، أي خرج عن طاعته وفارق الجماعة) ••ولو كان الشرود هاهنا نفورا وحسب ، كما هو الاصل ، لعدّي بـ (عن) كما جاء في الاساس ، لكنه نفور وعصيان •

ومنه (نشز عنه ونشز عليه) • ففي الاساس : (نشزت المرأة على زوجها ونشز عليها نشوزا) • وفي الافصاح : (الناشز المستعصية على زوجها المبغضة له) ، وهكذا •••

ولكن هل يُشترط في كل ما عُدّي من الافعال بعن و على أن تخرج تعديته بأحد الحرفين على التضمين ؟ يقال (صبر عليه وصبر عنه) فصَبَرَ في الاصل حَبَسَ • ففي النهج (٣/١٦٤) : (الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب) • وفي محاضرات الادباء (١٠٥) : (الصبر حبس النفس على المكروه وعما تدعوك إليه) • وهو متعدٍّ في الاصل ، تقول (صبرتُ نفسي) كقولك (حبست نفسي) • ففي التنزيل: (واصبر نفسَك على الذين يدعون ربهم بالغداة والعَشيّ) • قال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البيضاوي في تفسير الآيــة / ٨٢ / من الكهــف : (واصبــر نفســك احبسها وثبتها) .

على أن (الصبر) ليس حبساً وحسب ، ففي الصبر احتمال للمكروه وثبات لايشترطان في كل حبس . قال صاحب المفردات (الصبر امساك في ضيق) . وفي نهج البلاغة (٢/٢٠٨) : (قلّ يارسول الله ، عن صفيّتك صبري ، ورقّ عنها تجلّدي) ، فان معناه قل صبري عن فراقها بوفاتها ، وقصد بالصفيّة فاطمة عليها السلام .

ومادام (صبر) يجري مجرى (حبس) فان تعديته بـ (على) اذا أريد به امساك النفس على حال أو استمســاكها إزاء حال دون جبن أو جزَع ، ودون ضعف أو خَور ، وَتعديته بـ (عن) اذا بُغِيَ به حبــس النفس عما تحب في ثبات أو انصرافها دونه في تجلد ، تعديته في هذا وذاك صحيح ، قد أُنزل (على) و (عن) بهما الموضع الذي ألفاه في الاصل .

هذا وقد قيل (نصرته من فلان) وهو على تضمين (نصــر) معنى (منع) أي (نصرته مانعاً اياّه من فلان) . والنصر والمنع متآخيان . فقد جاء في اللسان : (قال ابن بري يقال نصرته من فلان اذا منعته منه . لأن الناصر لك مانع عدوّك . فلما كان نصرته بمعنى منعته جاز أن يتعدّى بمن . .)

وجاء في الحديث (تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار) . وهو على تضمين (الفوز) معنى (النجاة) . وتأويله (تمام النعمة دخول الجنة والفوز ناجياً من النار) . قال صاحب المفردات (وقوله فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ، من آل عمران /١٨٨ ، فهي مصدر فاز والاسم الفوز ، أي لاتحسبنهم يفوزون ويتخلصون من العذاب) . وقال الإمام البيضاوي (أي فائزين بالنجاة منه) .

★ ★ ★

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد فهل عزا النقاد الى (التضمين) ما استوجب حاله أن يُحمل عليه ، بشروطه التي أوضحنا ؟ أقول قد أقر الاستاذ الغلاييني (قبل به) حملاً على (رضي به) لكنه أنكر (أهداه) فهلاّ حمله على (أعطاه)، وهو في إغفاله غرض التضمين كسابقه سواء . وكنا قد أبينا تضمين (قبل) معنى (رضي) لانه لايزداد بهذا التضمين معنى على معناه . كذلك القول في (أهداه) فأي غرض نبتغيه بتضمينه (أعطاه) . قال الاستاذ الغلاييني (أهدى له الشيء وأهداه اليه ، لا أهداه إيّاه) . ونحن نشايعه في انكار (أهداه إياه) كما قلنا ، لاننا لا نستسيغ مثل هذا التضمين ، ذلك أنه مادام في (الاهداء) معنى الإتحاف ، فما الذي نضيف اليه بتضمينه معنى (الإعطاء) ؟ ففي التاج (الهدية كغنيّة ، ما أتحف به . قال شيخنا وربما أشعر اشتراط الاتحاف بعض الاكرام) . وأما تعدية الفعل باللام والى ، الى من أريد حمل الهدية اليه ، فذلك آتٍ من أن في (الإهداء) غير الاتحاف ، معنى الإرسال ، والبعث والتقديم . قال صاحب المقاييس (الهاء والدال والحرف المعتل أصلان أحدهما للارشاد ، والآخر بعثة لَطَف) ، ثم قال (والاصل الآخر الهدية : ما أهديت من لَطَف الى ذي مودّة) . وقال صاحب المصباح (وأهديت للرجل كذا بعثت به اليه). وفي الاساس : (ومن المجاز أهدى له واليه هدية لانها تقدم أمام الحاجة في مِهْدًى : في طبق) .

ويقول الاستاذ الغلاييني : (ومتى أُشرب الفعل معنى فعل آخر ، لمناسبة بينهما ، تعدّى تعديته أو لزم لزومه كما قدّمنا،فلا نرى من يقول: تعهّد له بكذا معنى ضمن له به مُخطئاً ، لان ضمن يتعدى بالباء أيضا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيقولون : تعهّد الشيءَ بمعنى ضمنه ، وتعهّد له نجاح العمل أي ضمن له نجاحه) .

وقد أورد الاستاذ محمد العدناني في معجمه قولا كهذا أو قل انه حكاه عن الغلاييني فقال (.. فيجوز لنا أن نقول : تعهّدت له بزيارته ، أو تعهّدت له أن أزوره ، لأن الفعل ـضمنـ يتعدّى بنفسه وبالباء..). أقول ليس استعمالك (تعهّد) بمعنى (ضمن) وتعديته تعديته من التضمين في شيء . فتعهّد الشيء بمعنى تفقّده وجدّد العهد به ، ففي المصباح (تعهّدت الشيء ترددت اليه وأصلحته ، وحقيقته تجديد العهد به ، وتعهدته حفظته) . قال ابن منظور (وتعهّد الشيء وتعاهده واعتهده تفقده وأحدث العهد به ..) . أما (ضمنت المال وبالمال) فمعناه أنك التزمته أو ألزمت نفسك إيّاه . فاذا أنت أشربت (تعهّد) معنى (ضمن) أو (كفل) لزمك أن تستأدي (تعهد) أو التضمين جملة ، دلالتين : دلالة تفقد الشيء ورعايته وتجديد العهد به ، ودلالة التزامك اياه . فهل يريد الكتاب بقولهم (تعهد لهم بالمال) مثلا غير ضمان المتعهد لهذا المال والتزامه إياه ، بل هل في قولهم (تعهّد لهم بزيارته) معنى غير إلزام نفسه أن يزوره ؟ فالكتّاب على هذا لايرومون من قولهم (تعهّدت بكذا) أن يُشربوا (تعهّد) معنى (ضمن) ليكون له دلالة الفعلين ، وانما يقصدون أن يجردوه من معناه الذي وضع له ويحلوا محلّه معنى (التزم أو ضمن أو كفل) ليغني مغناه . وليس هذا تضمينا بحال ، بل ليس هو بسائغ أو جائز ، وانما هو تصرّف بالفعل في غير ما وضع له ، وعدول به عن معناه الاول الى سواه دون مسوّغ من تضمين أو مجاز . بل هو تحكّم في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تصريف الفعل وتجاوز لحدود تعديته دون ضابط يُقتاس به • أوليس هذا عبثاً باللغة واشاعة للخلل في أقْيستها ؟

والغريب أن يمثّل الاستاذ العدناني لتعدية الفعل بالباء وبنفسه ، بقوله : (تعهدت له بزيارته،وتعهدت له أن أزوره) ، ذلك أن الجملة الثانية ليست صريحة بتعدية الفعل بنفسه ، لجواز حذف الجار قبل ــ أن ــ وهو قياس مشهور •

واذا كان الاستاذ العدناني قد ارتضى ، في غير موضع ، أن يعدّي الفعل تعدية ما هو في معناه ، قياسا لا شرط فيه ، ويسمّي هذا تضمينا، ولايرى أن يضمّ الفعل المضمَّن الى معناه الوضعي معنى جديداً مغايراً يناسبه ، فقد لزمه أن يسيغ (حرمه من حقه) و (حاز عليه) حملاً على (منعه من) و (حصل عليه) • فما باله يأباهما ويجعل الصَّواب فيهما (حرمه حقه) و(حازه) ؟

على أنه اذا خلت كتب اللغة من (حاز عليه) و نصَّت على (حازه) ، فانها حكت (حرمه إيّاه ، وحرمه منه) خلافا لما ذهب اليه العدناني ، وهو ما نود اثباته • واذا صح أن (حرمه إيّاه) هو نصّ المعاجم جميعاً ، فان الاستاذ أحمد العوامري عضو مجمع اللغة العربية القاهري قد أكد حكاية (حرمه منه) أيضا ، اذ قال في مجلة الرسالة القاهرية (٤٢١): (ان الفعل حرم يتعدّى بمن أيضاً • وعندي شاهد لذلك عثرت عليه في بعض مطالعاتي للاغاني •• وبينما كنت أُجيل الطرف أمس في كناشتي، اذا أنا أمام هذا الشاهد ، وهو للعباس بن الاحنف ، قال :

أُحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصرتُ كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق)

وقد رأيت ابن المقفع يقول في كليلة ودمنة (٩٣) : (فأما الحرمان فأنْ يُحْرَمَ من صالحي الأعوان ..) ، كما رأيت الجاحظ يقول في (فضل هاشم على عبد شمس) : (فأمرنا بإخراجه وما زال الى أن مات محروماً منه) .

وقد منع الاستاذ محمد العدناني (أرجوك الصفح عني) وجعل الصواب (أرجو صفحك عني) أو (أرجو منك الصفح عني) فقال في معجمه (لأن الفعل رجا يكتفي بمفعول واحد) . وقد استشهد بآيات من الذكر الحكيم ، كما استظهر بنصوص المعاجم . ولا شك أن كتب اللغة قد جعلت للفعل (مفعولا صريحا واحدا) . فأنت تقول (رجوت الامر) كما تقول (رجوت فلاناً) ، ولا تقول (رجوت فلانا الخير) . ولكن ما الذي يمنع من تضمين (رجا) معنى (سأل) وإكسابه معنى جديداً الى معناه ليكون مرادك من قول (أرجو رفيقي الصفح) أنك تتوقع الصفح من رفيقك وتريده ، وتسأله أن يقوم به فعلا . وبين الفعلين تغاير في المعنى ومناسبة أيضا . فالوجه ظاهر في تضمين (رجا) معنى (سأل) وتعديته مثل تعديته ، ويكون معناه الرجاء على جهة السؤال أو الطلب والالتماس .

قال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) : (فان صدر مثل هذا ــ أي التضمين ــ من عاميّ أو شبيه بعاميّ ، أي ممن يدلك حاله على أنه لم يبنِ كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ ، كان لك أن تحكم عليه بالخطأ . فلا جناح عليك أن تحكم على قول العامة مثلا : أرجو الله قضاء حاجتي ، باللحن ، والخروج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن قانون اللغة الفصحى ، لأن معنى الرجاء لا يتعدّى الى مفعولين . وليس لك أن تخرّجه على باب التضمين ، كأن تجعل أرجو ، مُشرباً معنى أسأل ، بناء على أن بين الرجاء والسؤال علاقة السببية والمسببية ، فان هذا الوجه لم ينظر اليه أولئك الذين استعملوا فعل ــ أرجو ــ متعدّيا الى المفعولين) .

ومؤدّى قوله أن لإشراب ــ أرجو ــ معنى : أسأل ، وجهاً صحيحاً ، لكنه لو أتى استعماله من عامي أو مثله ، كان خطأ . وهو قول غريب ! وإلاّ فهل يصح أن يكون الكلام صوابا وخطأً معاً ، وأن يختلف الحكم عليه باختلاف قائله ؟ وما الذي نقوله للكاتب المبتدىء اذا حاكى في كتابته عالما من العلماء ؟ أفردّ عليه كلامه ونحمله على الخطأ حتى يكون كاتباً حقاً فيُعرف بالحذق ويُشهد له بالعلم؟ هذا وقد جرت تعدية ــ أرجو ــ مجرى تعدية (أسأل) في كلام البلغاء . فانظر الى ماجاء في نهج البلاغة (١/١٨١): (وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة) وهو صريح بتضمين فعل الرجاء معنى السؤال وتعديته تعدية فعله .. وقد أُريد بالنص أنه (راجٍ من الله أن يدلّه على الاعمال التي تُرضيه سبحانه ، ويستوجب بها الرحمة والمغفرة وكأنه جعل تلك الاعمال التي يرجو أن يدل عليها ذخائر للرحمة وكنوزاً) كما يقول شارح النهج الاستاذ ابن أبي الحديد ، سائلا ربّه أن يحقق له هذا الذي رجاه .

وقد عاب الشيخ ابراهيم اليازجي قول القائل (أرجو اليه أن يفعل كذا ــ أي أرغب) ، وجعل صوابه (أرجو منه) ، وقال (على أن الرجاء بمعنى الامل ، واستعماله بمعنى الرغبة عامي) . ونحن نشايع الشيخ فيما عابه ، لان قولك (أرجو اليه أن يفعل) لايمكن أن يخرّج على تضمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعل ــ أرجو ــ معنى ــ أرغب اليه • فقد يأتي الرجاء بمعنى الارادة في في الاصل بلا تضمين • فاذا قلت (أرجو اليه أن يفعل) فأنت لا تعني غير أنك تتوقع منه ذلك وتريده ، وصحة التعبير أن تقول (أرجــو منه) أو (أرغب اليه) !•

والذي يؤكد أن الرجاء يحتمل معنى الارادة ماجاء في المصباح • قال الفيومي (رجوته أرجوه رجوّاً على فعول أمّلتــه أو أردته ، قال تعالى : اللاتي لا يرجون نكاحاً ، أي لا يردْنه ، والاسم الرجاء بالمد)• وقال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا ــ النور / ٦٠) : (لا يطمعْن فيه لكبرهن) • بل إن في (رغبت اليه) معنى الرجاء أيضا • قال صاحب الكليات (ولم تشتهر تعديتها ــ أي رغب ــ بإلى ، إلاّ أن تتضمّن معنى الرجوع أو يكون معنى الرغبة : الرجاء والطلب) •

فلا وجه إذاً لقول اليازجي (على أن الرجاء بمعنى الامل ،واستعماله بمعنى الرغبة عامي) !

ونظير تعدية (رجا) الى مفعولين بتضمينه معنى (سأل) ، كما مرّ في تخريج قول صاحب النهج (رجوتك دليلاً) ، تعدية (نَشَــد) الى مفعولين بتضمينه معنى (سأل) أيضا • فأنت اذا عدّيتَ (نَشَد) الى مفعول واحد كان معناه طلب غالباً • قال صاحب المصباح: (نشدت الضالة نشداً من باب قتل طلبتها ، وكذا اذا عرفتها) واذا عدّيته الى اثنين كان من أفعال الأيمان ومعناه استحلفتك به وذكّرتك اياه • ففي اللسان : (يقال نشدتك الله وأنشدك الله ، وبالله : أي سألتك وأقسمت عليك ••• وتعديته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى مفعولين إما لأنه بمنزلة دعوت حيث قالوا : نشدتك الله وبالله ، كما قالوا دعوتك زيداً وبزيد • أو لأنهم ضمنوه معنى ذكّرت)[1] • وقال صاحب المصباح (ونشدتك الله وبالله أنشدك ذكّرتك به واستعطفتك أو سألتك به مقسماً عليك)•

ولكن هل يتعدّى الفعل الى مفعولين ويكون معناه الطلب ؟ أقول ليس في نصوص المعاجم ما يُسعف ذلك ويشهد بصحته • لكنه جاء في كلام البلغاء • ففي نهج البلاغة (٢/٢) : (فمن نشدناه شهادة ، فليقل بعلمه فيها) • ومعناه (من سألناه أن يشهد فليقل بعلمه) • فما تخريج ذلك ؟ الذي عندي أنه يحمل على باب التضمين أيضا • فقد أُشرِب (نشدته) المتعدّي الى واحد معنى (سألته الحاجة) المتعدّي الى اثنين، فعُدّي تعديته • واذا كان معنى (نشد الضالة) في الاصل (رفع الصوت بطلبها) كما ورد في المظان ، كان معنى (نشدتك الحاجةَ) مثلا ، رفعت صوتي بطلبها سائلا إياك قضاءها • ففي اللسان : (وقولهم نشدت الضالة أي رفعت نشيدي أي صوتي بطلبها) • وقال صاحب المقاييس (النون والشين والدال ، أصل صحيح يدل على ذكر شيء وتنويه • ونشد فلان فلاناً قال : نشدتك الله ، أي سألتك بالله • وتلخيصه ذكّرتك الله تعالى • ومنه إنشاد الشاعر ، وهو ذكره والتنويه به • وأما نَشَدت الضَّالَّة يعني طلبتها ، فلرفع صوته) !

وهناك (أدمن الامر) يعني أدامه ولزمه • ففي اللسان : (يقال فلان

(١) وهي عبارة ابن الاثير في النهاية •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدمن كذا ، أي يديمه ، ومدمن الخمر الذي لا يُقلع عن شربها ، يقال فلان مدمن خمر أي مداوم شربها) • وقد جاء في معجم المتن ومعجم الوسيط (أدمنه وأدمن عليه) ، فعاب الاستاذ محمد العدناني قولهما وقال : (وقد أخطأ المتن والوسيط حين أجازا استعمال : أدمن عليه • وقد جاء في محيط المحيط : والعامة تقول أدمن على الامر أي اعتاده ومرن عليه) • أقول ان (المتن والوسيط) لم يُخطئا وانما أثبتا ما جاء في أساس البلاغة واعتمداه• قال الزمخشري : (وفلان مدمن خمر لايُقلع عن شربها ، وهو يُدمن شربها • وأدمن الامرَ وأدمن عليه : واظب) •

ف (أدمن عليه) اذاً ليس من كلام العامة كما جاء في محيط المحيط، ولا هو من خطأ الكتاب كما قاله الشيخ ابراهيم اليازجي • وقد نبهنا على على ذلك في كتابنا (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) الصادر عام ١٩٣٩ •

ووجه العجب ألاّ يستظهر الاستاذ العدناني بالتضمين في إقرار (أدمن عليه) كما استظهر به لتسويغ نظيره، فمادام قد أجاز تعدية الفعل تعدية ماهو بمعناه وسماه تضميناً ، فما باله لم يحمل (أدمن عليه) على (واظب عليه) مثلا ؟

وأبلغ في العجب وأذهب ، أن يمضي الاستاذ العدناني في استحسان إنابة حرف مكان حرف ، في استعمال كثير من الافعال ، وكأنه قياس ، ثم يختم كلامه على التضمين بقوله : (من هذا كله نرى أن إنابة حرف مكان حرف آخر جائزة في كثير من الاحوال ، لكنها لا تطّرد في كل موضع ، ويُترك الامر فيها الى السماع لا القياس) !

وقد عاب صاحب الجاسوس على القاموس ، صاحبَ المصباح ، بأنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عدّى (واظب) بنفسه في مادة (دام) وبـ (على) في مادة واظب ، فقال: (ومثله تعدية صاحب المصباح واظب بنفسه في تفسير داوم وبـ ــ على ــ في مادّته) • أقول ان (واظبه) لم يرد بمعنى (واظب عليه) فيما تهيأ من نصوص المراجع ، وانما جاء (وَظِبَه) • ففي اللسان (ووَظِبَه وظوباً وواظب لزمه) • فقد يكون كلام المصباح قد حُرِّف والاصل فيه (وداومَ على الشيء مُداومة وَظِبَه) لا (واظبه) • أما (واظبه) فقد جاء في حديث أنس (كنّ أمهاتي يواظبنني على خدمته) • قال صاحب النهاية (أي يحملني ويبعثني على ملازمة خدمته والمداومة عليها)•

★ ★ ★

ومما نحن بسبيله ما بحثه الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج ، عضو مجمع اللغة العربية القاهري في مجلة المجمع للبحوث والمحاضرات لعامي (١٩٦٦ و ١٩٦٧) حول ما جاء عن زيادة (لا) في التنزيل الحكيم•

فقد أورد آية ص (٧٥) : (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقته بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين) ، وقال ان السؤال فيها قد كان عن المانع الذي منع ابليس من السجود • وقد أتبع السؤال سؤالاً آخر عن حقيقة هذا المانع ، أهو الكبر والتعالي ، أم أنه من العالين ، فلم ينطو على شيء غير السؤال عن المانع وحقيقته •

وجاء بآية الحجر (٣٢) : (وقال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين) وقال انها تضمنت سؤالا ، لا عن المانع من السجود ، بل عن السبب الباعث على تركه • فهو في معنى أي شيء حصل لك حتى حملك على ترك السجود مع الساجدين ، وأردف : (ولا شكّ أن السبب الباعث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعل • فهما أمران متغايران وان كانا متقاربين) •

ثم أتى بآية الأعراف (١١) : (قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك • قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين)، فقال انها انطوت على سؤال عن المانع من السجود ، وآخر عن الباعث على تركه ، وكأنّ تقدير الكلام (ما منعك من السجود ، وما حملك على ألاّ تسجد) •

وقد دعا ذلك الشيخ عبد الرحمن أن يحمل هذه الآية على التضمين، إذ قال : (إن الآيتين من سورة الحجر وسورة ص ، تشيران الى ذلك المجال الرحب ، وتوجّهان لذلك الوجه السديد السهل ، وترشدان الى سرّ ذلك التعبير الخاص الذي جاءت عليه آية الأعراف) • وأردف : (ان التضمين الذي هو من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن ، وأجمله وأبرعه • ذلك التضمين قد جَمَعت به آيةُ الأعراف ما اشتملت عليه الآيتان الأُخريان من المعنى • جَمَعت السؤال عن المانع من السجود ، والسؤال عن الباعث على ترك السجود ، بطريقة يدركها من يُعنى بمراعاة الدقة والتعمق في تفهُّم الآيات القرآنية ولاسيما في هذا المقام) •

وهكذا ضُمِّن فعل (منع) معنى (حمل) وعُدّي تعديته فجمع بالتضمين الى معناه معنى هذا الفعل ، وكأن تقدير الكلام كما أسلفنا (ما منعك من السجود وما حملك على ألاّ تسجد) • فالفعل الاول لم يفقد معناه ولا عمله (وبذلك يتعدّى الى مفعوله الخاص الذي كان له قبل التضمين • ويتعدّى أيضاً الى مفعول آخر يناسب معنى الفعل الثاني بسبب التضمين • غير أن التضمين يقتضي طيّ المفعول الذي كان للفعل الاول ، للعلم به ، ودلالة المقام عليه • كما يقتضي التصريح بالمفعول الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتطلبه الفعل الآخر ، بعد أن يُطوى هذا الفعل ويحمل الفعل الاول معناه ..) .

وأوضح الشيخ تاج ما ذهب اليه فقال : (ان التضمين الذي معنا هنا في آية الاعراف قد اشتمل على ما يسمى الاحتباك ، وهو أن يكون في الكلام عبارتان يحذف في كل منهما ما ترشد اليه الأخرى) .

هذا وأما تقدير آية الاعراف هذه ، على التضمين البياني ، فذلك (ما الذي منعك من السجود حاملا لك على تركه) .

ولكن ما رأي المتقدّمين في تأويل مجيء (لا) في آية الأعراف هذه ؟

ذهب بعض النحاة البصريين والكوفيين الى القول بزيادة (لا) ، وقال آخرون بأصالتها . والقائلون بالزيادة يلتمسون معنى لذكر الحرف، إذ لا قائل من النحاة بأن في القرآن حرفاً جيء به لغير فائدة . وعلى رأس من أخذ بالزيادة جار الله الزمخشري ، إذ قال في كشافه (إن ــ لا ــ في: ألاّ تسجد صلة ، بدليل قوله : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ،ومثلها: لئلا يعلم أهل الكتاب ، بمعنى : ليعلم .. فان قلت مافائدة زيادتها قلت لتوكيد معنى الفعل الذي تدخل عليهوتحقيقه، كأنهقيل: ليتحقق علم أهل الكتاب ، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك) .

ولم يرتض الشيخ تاج أن ترد اداة للنفي ، لتأكيد ما هو مثبت أو تحقيقه . والنفي والاثبات متعارضان بل متناقضان ، وقال : (إن هذا الذي ذهب اليه الإمام الزمخشري ، لا يسلم له دليل ، ولا ينهض لهشاهد من لغة أو عرف . بل إن الشواهد كلها واللغة والعرف على خلافه) . وعندي أن ما ارتآه الشيخ لا يجافي الصواب ، والاّ فكيف يكون قولك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(أن لا تسجد) أبلغ في تحقيق السجود من قولك (أن تسجد) ، فيأتي تحقيق الاثبات في صورة النفي ؟

قال الإمام الزمخشري (إن ــ لا ــ في : أن لاتسجد ، صلة • بدليل قولك : ما منعك أن تسجد) • وقال أبو حيان في البحر المحيط (قوله تعالى : ما منعك أن تسجد ، وسقوط ــ لا ــ في هذا ، دليل على زيادتها في : ألاّ تسجد) • أقول قد أصاب الإمامان وجه الرأي إذا ثبت أن آية الأعراف التي جاءت على النفي بسعنى آية (ص) التي قامت على الإثبات، وأنزلت منزلتها من كل وجه • ولكن ما الدليل على ذلك ؟

وظاهر" أن آيتي الأعراف (١٠/١١) قد انطوتا على أمر الله الصريح (ثم قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا ، الاّ ابليس لم يكن من الساجدين• قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين) • واقتضى عدم الانقياد لأمر الله ورفض طاعته ، البحث عن علة هذا العصيان بالسؤال عن المانع من الامتثال لأمر الخالق ،والباعث على تركه ، وذلك بالتضمين • وقد خلت آية ص (٧٥) من مثل هذا الامر• قال تعالى (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين) • فانطوت على السؤال عن المانع من السجود ، ولم تتجاوزه الى الباعث على تركه • ذلك (أن الباعث والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعل ، فهما متغايران ، وان كانا متقاربين) كما تقدم •

على أن كثيرا من الأئمة المفسرين قد عرضوا لما قاله البصريون والكوفيون على زيادة (لا) ، ثم استصوبوا القول بأصالتها ، كما فصله الشيخ تاج • ومن هؤلاء (ابن جرير الطبري) وقد أوّل آية الاعراف على،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقدير (ما منعك من السجود فأحوجك ألاّ تسجد) . والفخر الرازي ، فقال : (ان الله ذكر المنع ، وأراد الداعي ، فكأنه قال : مادعاك الى ألاّ تسجد) . ذلك (لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يُتَعجب منها ويُسأل عن الداعي اليها) ــ ونظير هذين الإمامين ، أبو السعود ، إذ قال (وقيل الممنوع عن الشيء مصروف اليه . فالمعنى ما صرفك الى أن لا تسجد) .

ويمكن أن يُحمل كلام هؤلاء جميعا،على أن في الآية نوعا من المجاز المرسل ، علاقته اللزوم ، وقد ردده السكاكي في باب المجاز المرسل .

أما أبو حيان في البحر المحيط فقد قال بزيادة (لا) ، وذكر القول بأصالتها على أنه وجه آخر . قال : (وقال قوم ــ لا ــ في : أن لاتسجد، ليست زائدة ، واختلفوا . فقيل يقدر محذوف يصحّ معه المعنى ، وهو ما منعك فأحوجك أن لاتسجد . وقيل يحمل قوله ما منعك معنى يصحّ معه النفي ، فقيل معنى ما منعك من أمرك ، ومن قال لك ألاّ تسجد).

هذا وقد نقل الشيخ الآلوسي في (تفسير روح المعاني) عن السكاكي وغيره،أن فعل المنع في الآية مجاز عن الحمل أو مجاز عن الإلجاء والاضطرار، فلم يرتض الشيخ تاج ذلك فقال : (فان المجاز كما هو معلوم ، لا يصحّ فيه ارادة المعنى الحقيقي للفظ ، بل لابد أن تكون هناك قرينة تمنع من إرادة هذا المعنى).

ثم أردف (واذاً يكون الصواب هو ما أفادته عبارة الآلوسي ... أن يكون ذلك من باب التضمين) . أقول إذا ذُكر في تأويل الآية أن فعل المنع قد قصد به الحمل على تقدير (ما حملك على ألاّ تسجد) فهو مجاز لا شك فيه . ولكن اذا ذكر المنع وقصد به حقيقة معناه مع إرادة الحمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على تقدير : (ما منعك أن تسجد وحملك على تركه) فهل ثمة ما يحول أن يصحّ فيه المجاز أيضا ؟

يبدو أن الشيخ يعارض في هذا كما مرّ ، ويعلل فيقول : (فان المجاز لا يصحّ فيه إرادة المعنى الحقيقي) . ومن ثم يحمل التأويل على التضمين دون المجاز . وعندي أن ارادة المعنى الحقيقي للفعل المذكور مع معنى الفعل الآخر قد يُفَسَّر بأنه مجاز أيضا . ذلك أن المجاز انما يمنع من ارادة المعنى الاصلي وحده ، وقد امتنع هذا المعنى فعلا ، لا بانسلاخه عن اللفظ ، بل بانضمام المعنى الآخر اليه . فلو كان الفعل المذكور مستعملا فيمعناه الحقيقي،فلا دلالة على الفعل الآخر . وعلى هذا يندرج التضمين في مطلق المجاز كما يقولون .

وقد جاء في حاشية الامير على المغني (١/١٩٥) : (قوله مامنعك ، قال الدماميني يحتمل عدم الزيادة بتضمين منع معنى حمل أي حملك على كذا) . أقول ليس هذا تضمينا اذا كان التأويل (ما حملك) ، ولو سُمي كذلك . بل هو مجاز لان في التضمين عند الاكثرين إرادة للمعنيين جميعا على تأويل : (ما منعك وحملك) . وجاء في مفردات الراغب (ما منعك ألاّ تسجد أي ما حملك) . وهذا مجاز . لكنه أردف : (وقيل ما الذي صدّك وحملك على ترك ذلك) ، فاستوفى بقوله هذا حدّ التضمين .

هذا وقد عرض الدكتور علي العماري لكلام الشيخ تاج ، في مجلة الازهر (لربيع الاول عام ١٣٩٥) فاستبعد أن يفيد (منعه) معنى (دعاه) أو (حمله) مجازاً ، أو يشرب نحوا من هذا المعنى على سبيل التضمين ، والمعنيان متضادان . فقال : (أما أن يضمّن الفعل معنى فعل مضاد له ، فلا نكاد نسمعه) . ثم آثر أن يذهب مذهب بعض المفسّرين في تفسير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(منعه) معنى (حماه) ، فيكون فحوى الآية (ما حماك وجعلك في منعةٍ مني في ترك السجود) .

والجواب عن ذلك أنه قد يتفق في التضمين أن يتضاد المعنيان،فيكون التناسب في تلازمهما . قال المرزوقي في قول الشاعر (ما أنفيك .. لألأمَ من أبيك) : (كأنه قال ما أنفيك من أبيك وأدعوك لألأم منه ، لأنه اذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره) . وقد سبق أن بيّنا العلاقة بين (النفي)و(العزو) أو بين قطع النسب ووصله ، على تضادهما ، فأوضحنا أنها علاقة تلازم . فقطع النسب من جهة يستلزم اتصاله بأخرى ، كما لمّح اليه المرزوقي . أولا ترى أن ما بين (أنفيك) و (أدعوك) في البيت ، مثل مابين (منعك) و (دعاك) في الآية ؟ فاذا صحّ التضمين في البيت فقد ثبت في الآية .

أما إيثار العماري مذهب بعض المفسّرين في أن (منعه) بمعنى (حماه) فلا نستجيزه . ذلك أن (منعه) قد جاء بمعنى (حال دونه) في قوله تعالى (ما منعك أن تسجد) باتفاق . وقد زيد النفي في قوله تعالى (ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك) ، وقد بيّنا وجه دخول هذا النفي .

★ ★ ★

فتبيّن بما بسطنا القول فيه وفصّلناه ، أن ملاك الامر في هذا الباب أن يُحمل الفعل في تعديته ولزومه على أصله . فاذا تعذر ذلك لقرينة مانعة ، حُمل على وجه من المجاز بشروطه المصححة لاستعماله،أو التضمين بمراعاة حدّه وتحقيق غرضه .

ولابدّ في كل ذلك من إنعام الفكر وإعمال الرويّة ، ليخلص الرأي من كل شائبة ، ويصفو من كدر أو معابة .

والاّ فقد جرنا عن قصد السبيل ، وجرينا في الحكم بلا دليل .

صلاح الدين الزعبلاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net